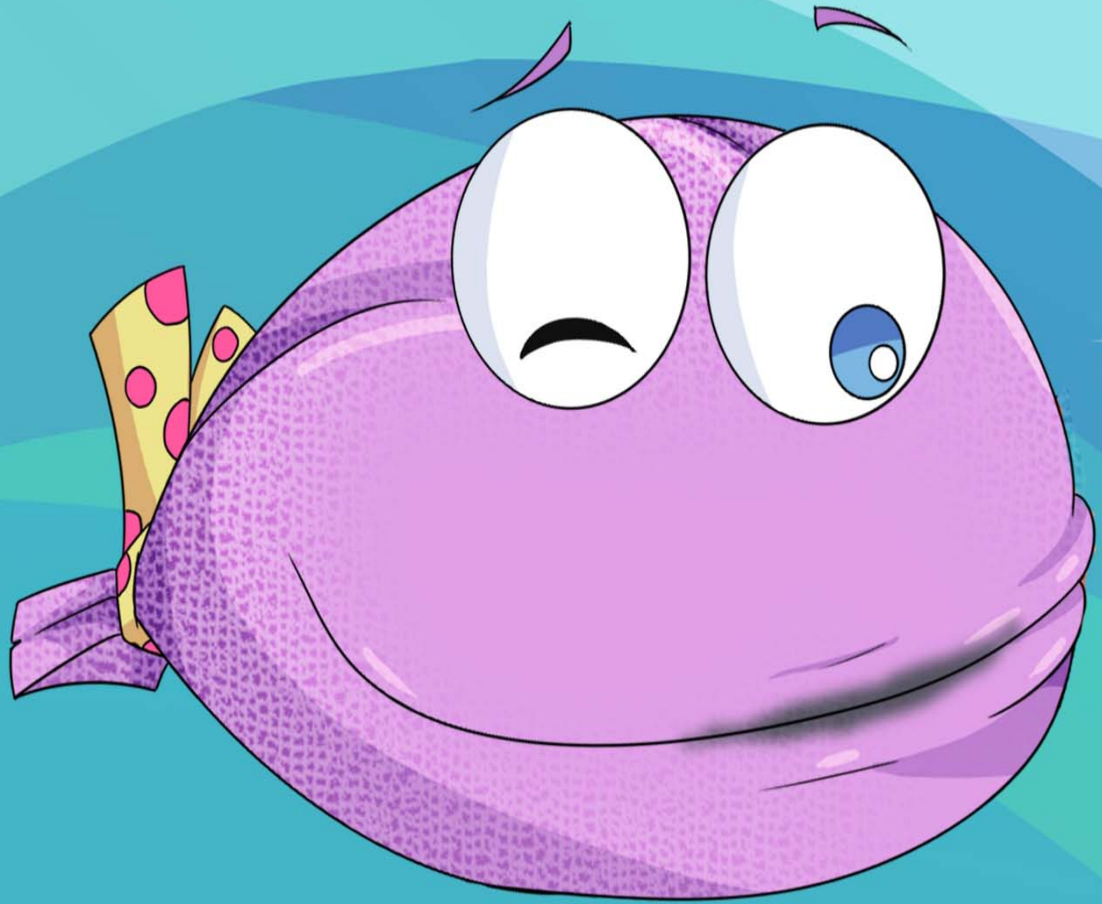
ل

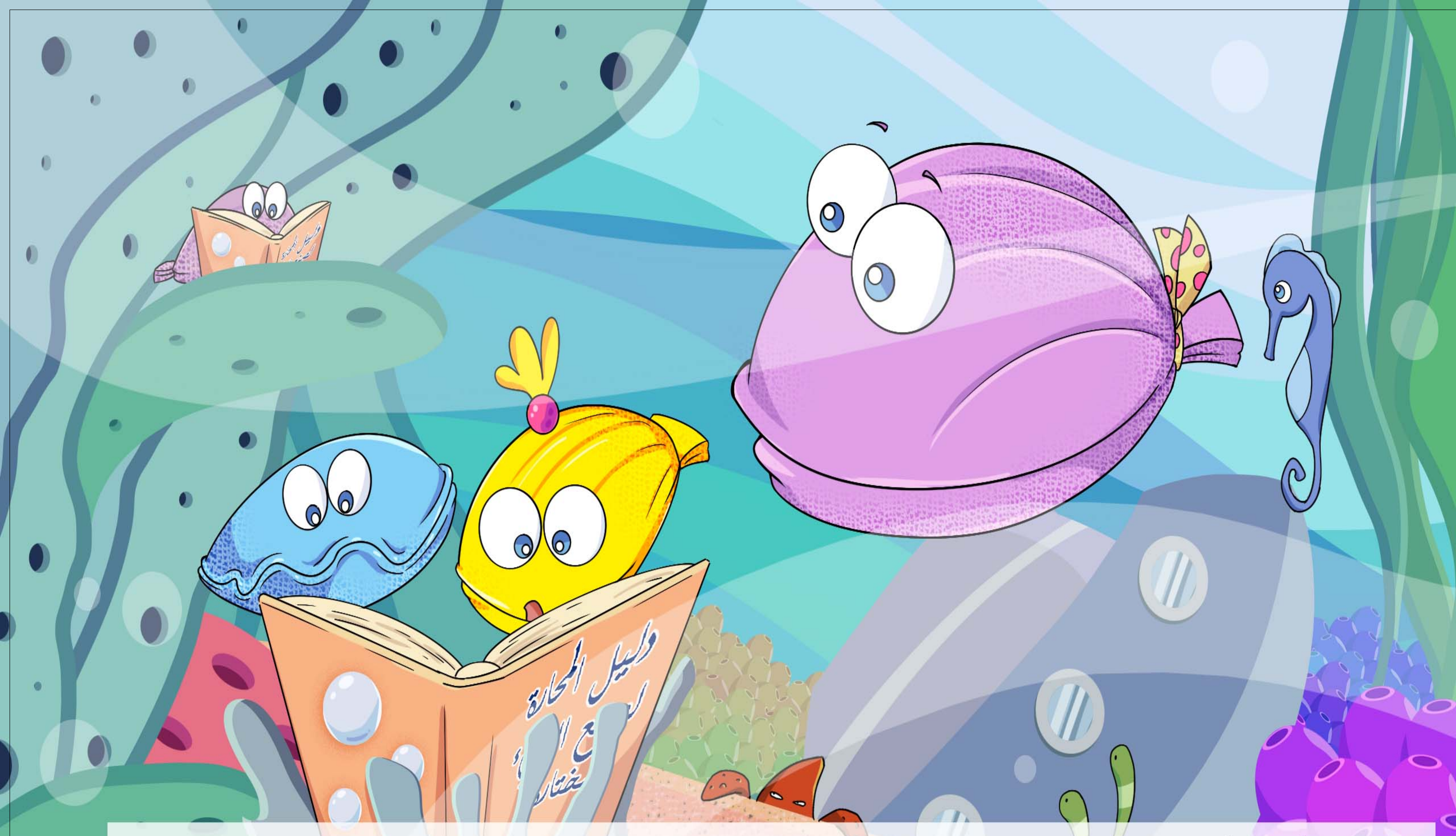
الْمحارةُ



قصة: ليلى عودة

رسوم: مايا عبود

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ



دُرَّةُ مَحارَةٌ كَبيرَةٌ تَعيشُ في خَليجِ الْمَحاراتِ السَّعيدِ. كانَتِ الْمَحاراتُ تُمْضي وَقْتَها في قِراءَةِ مَوْسوعَةٍ اسْمُها "دَليلُ الْمَحارَةِ لِصُنْعِ اللَّآلِئِ الْمُخْتارَةِ" لِتَتَعَلَّمَ صُنْعَ اللَّآلِئِ.



لكِنَّ دُرَّةَ لَمْ تَكُنْ تَهْتَمُّ بِصُنْعِ اللَّآلِئِ،
بَلْ كانَتْ تَقْضي وَقْتَها مُسْتَيْقِظَةً،
عَلى الْعَكْسِ مِنْ كُلِّ الْمَحاراتِ؛
فَصُنْعُ اللَّآلِئِ يَحْتاجُ إِلى نَوْمٍ طَويلٍ طويلٍ،
وَدُرَّةُ لَمْ تَكُنْ تَصْبِرُ عَلى النَّوْمِ أَبَدًا.

فِي أَحَدِ الْأَيّامِ، دَعَتْها خالَتُها صَدّوفَةُ لِتَناوُلِ سَلَطَةِ الطَّحالِبِ وَالرَّخْوِيّاتِ عِنْدَها، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْها،
فَدُرَّةُ لا تُقاوِمُ هذهِ السَّلَطَةَ.



بَعْدَ الْغَداءِ، فَتَحَتِ الْخالَةُ صَدّوفَةُ صُنْدوقًا جَميلًا وَقالَتْ لِدُرَّةَ: "هذهِ اللُّؤْلُؤَةُ هِيَ أَهَمُّ إِنْجازٍ في حَياتي الطَّويلَةِ؛ أَكْبَرُ لُؤْلُؤَةٍ في حَيِّ الْمَرْجانِ. وَأَنْتِ يا دُرَّةُ، ماذا سَيَكونُ أَهَمُّ إِنْجازاتِكِ؟". ضَحِكَتْ دُرَّةُ وَأَجابَتْها: "أَيُّ شَيْءٍ غَيْرَ النَّوْمِ!".



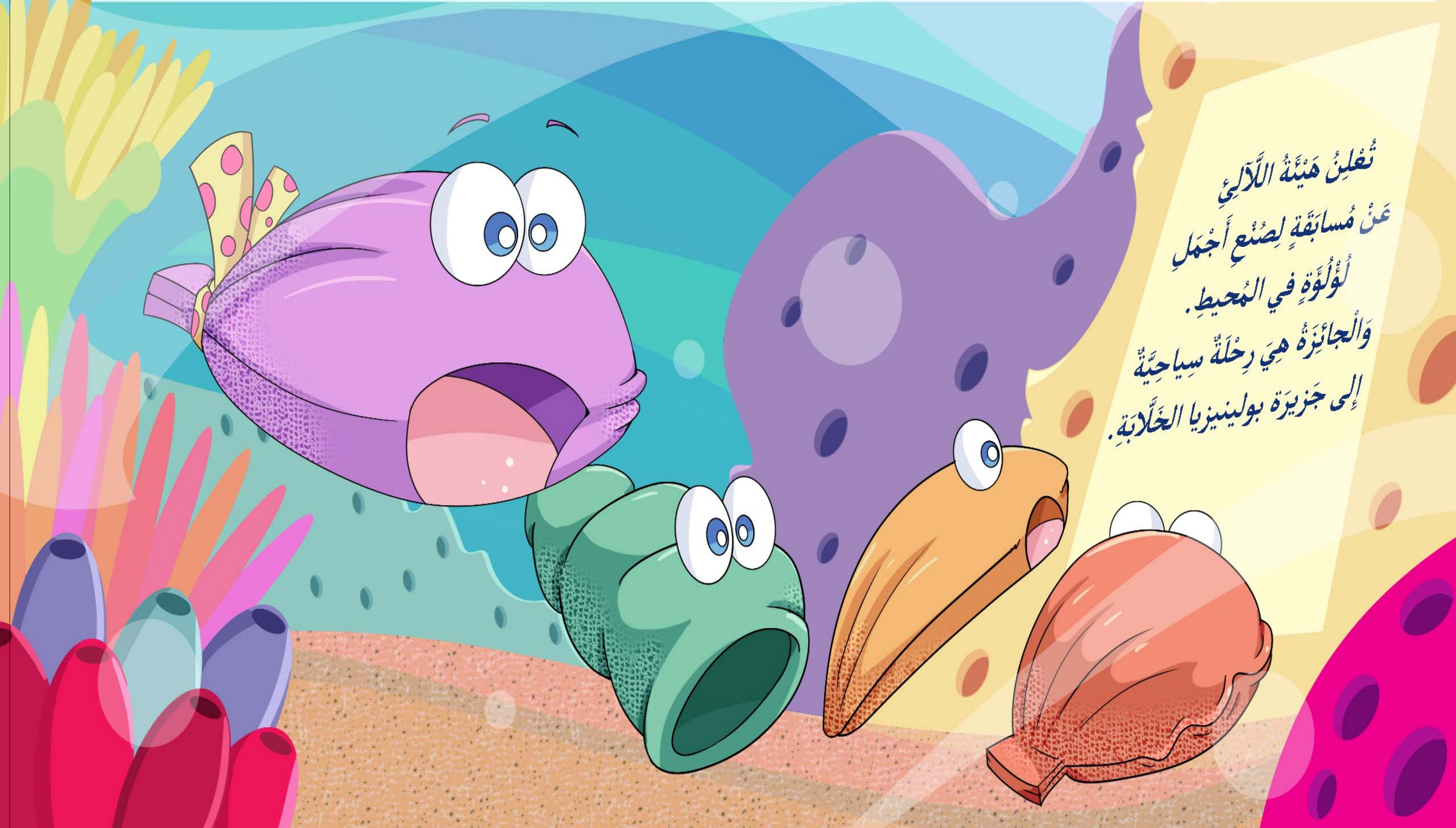
اسْتَدارَتْ دُرَّةُ فَلاحَظَتْ خِزانَةَ عَرْضٍ، كانَتْ فيها أَجْمَلُ لُؤْلُؤةٍ شاهَدَتْها في حَياتِها؛ إِذْ كانَتْ سَوْداءَ لمّاعَةً.

قالَتِ الْخالَةُ صَدّوفَةُ: "هذِهِ صَنَعَتْها جَدَّتي، وَمِنْ حينِها لَمْ تَسْتَطِعْ أَيُّ مَحارَةٍ صُنْعَ مِثْلِها". فَجْأَةً...

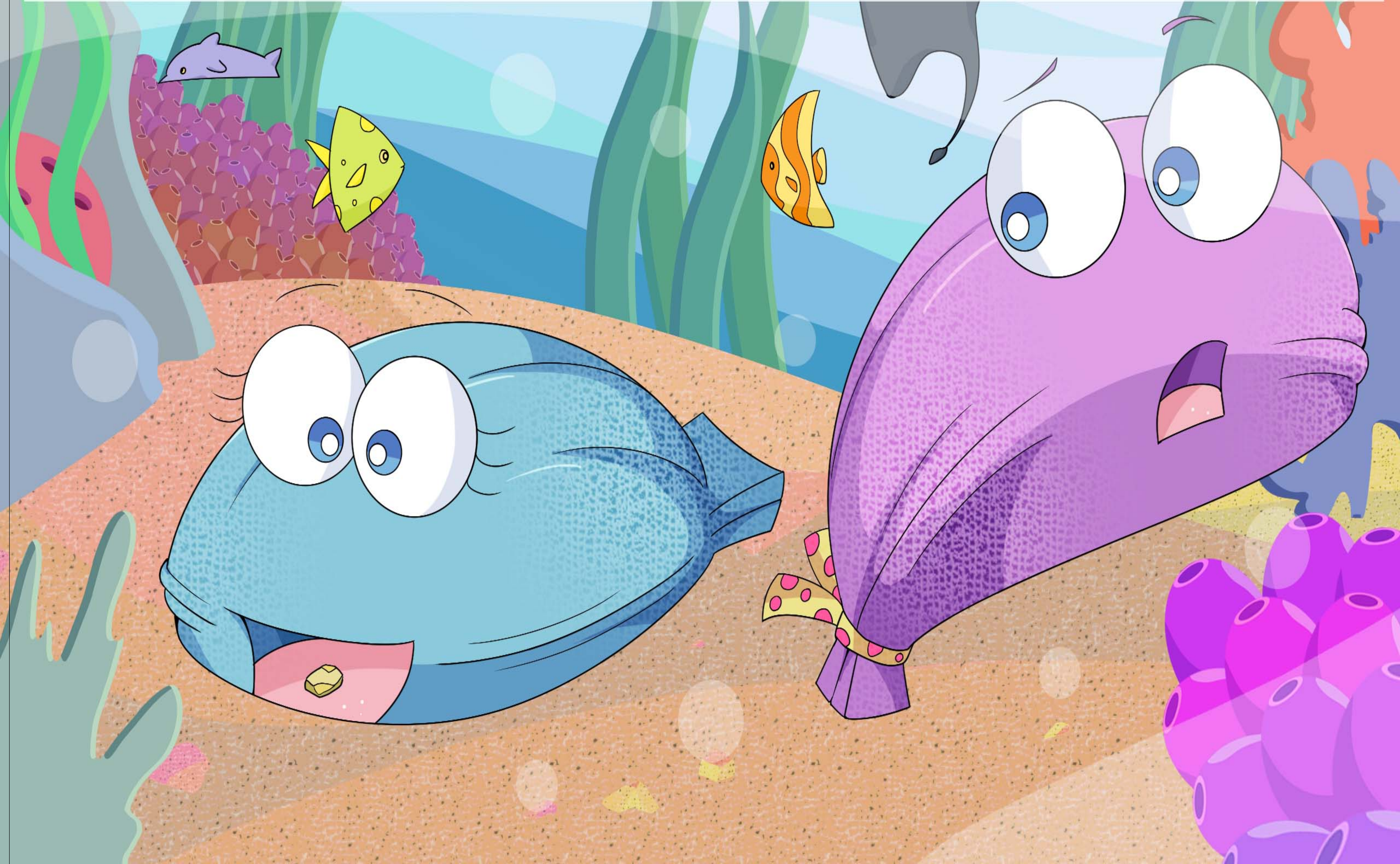


سَمِعَتْ الْمَحارَتانِ أَصْواتًا كَثيرَةً في الْخارِجِ! تَجَمَّعَتِ الْمَحاراتُ حَوْلَ إِعْلانٍ لِمُسابَقَةِ أَجْمَلِ لُؤْلُؤَةٍ في الْمُحيطِ.

هَتَفَتْ دُرَّةُ: "إِنَّها فُرْصَةٌ رائِعَةٌ، كَمْ أَهْوى الرِّحْلاتِ وَالْمُسابَقاتِ!".

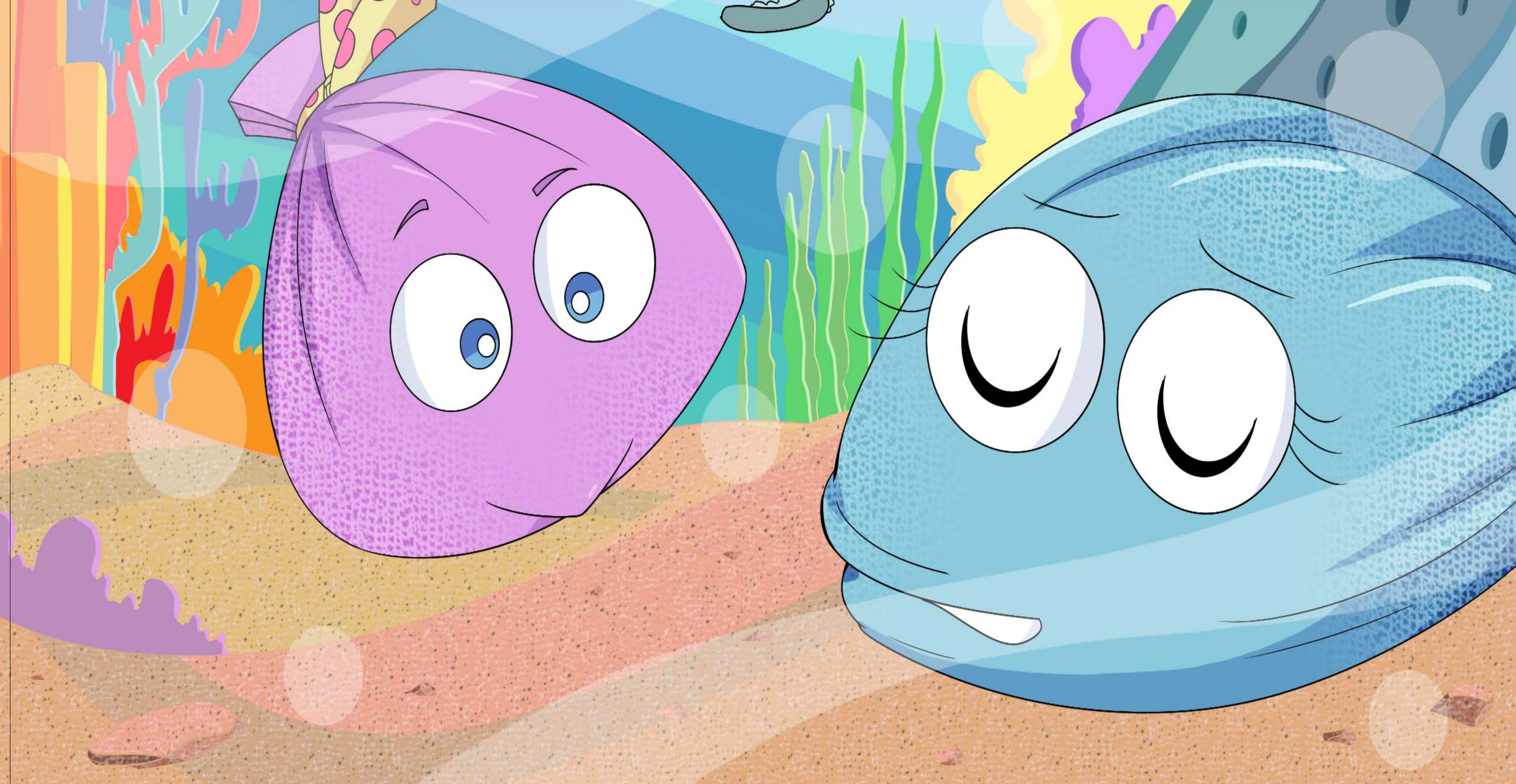


لكِنَّ دُرَّةَ لا تَعْرِفُ كَيْفَ تَصْنَعُ اللَّآلِئَ، وَهذا يَحْتاجُ إِلى نَوْمٍ طَويلٍ، وَدُرَّةُ لا تُحِبُّ النَّوْمَ. ثُمَّ خَطَرَتْ في بالِها فِكْرَةٌ.

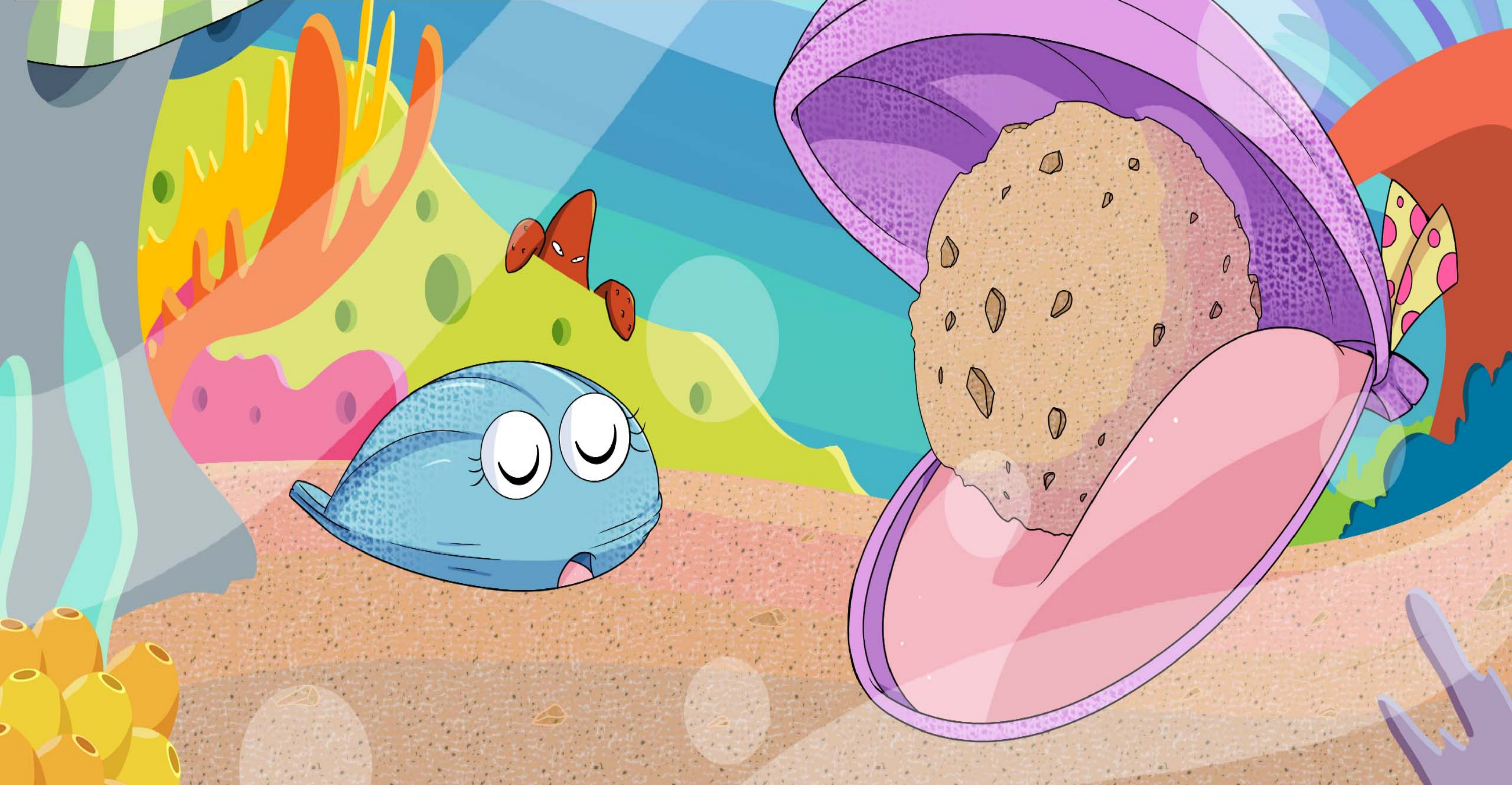


راقَبَتْ ما سَتَفْعَلُهُ خالَتُها صَدُّوفَةُ.

قالَتِ الْخالَةُ صَدّوفَةُ: "سَأَصْنَعُ أَكْبَرَ وَأَنْصَعَ لُؤْلُؤَةٍ!"، وَاسْتَلْقَتْ في بُقْعَةٍ مُريحَةٍ تَحْتَ الرِّمالِ، ثُمَّ أَدْخَلَتْ في فَمِها ذَرَّةَ رَمْلٍ، وَأَرْدَفَتْ قائِلَةً: "الْآنَ سَأَنامُ عِدَّةَ شُهورٍ، تُصْبِحونَ عَلى خَيْرٍ".



هَمَسَتْ دُرَّةُ لِنَفْسِها: "يَبْدو أَنَّ السِّرَّ في ذَرَّةِ الرَّمْلِ الَّتي ابْتَلَعَتْها!،
ثُمَّ ضَحِكَتْ وَأَكْمَلَتْ: "اللَّآلِئُ مَصْنوعَةٌ مِنَ الرِّمالِ إِذَنْ! شَيْءٌ بَسيطٌ".
جَمَعَتْ كُرَةَ رَمْلٍ وَابْتَلَعَتْها دَفْعَةً واحِدَةً داخِلَ صَدَفَتِها.



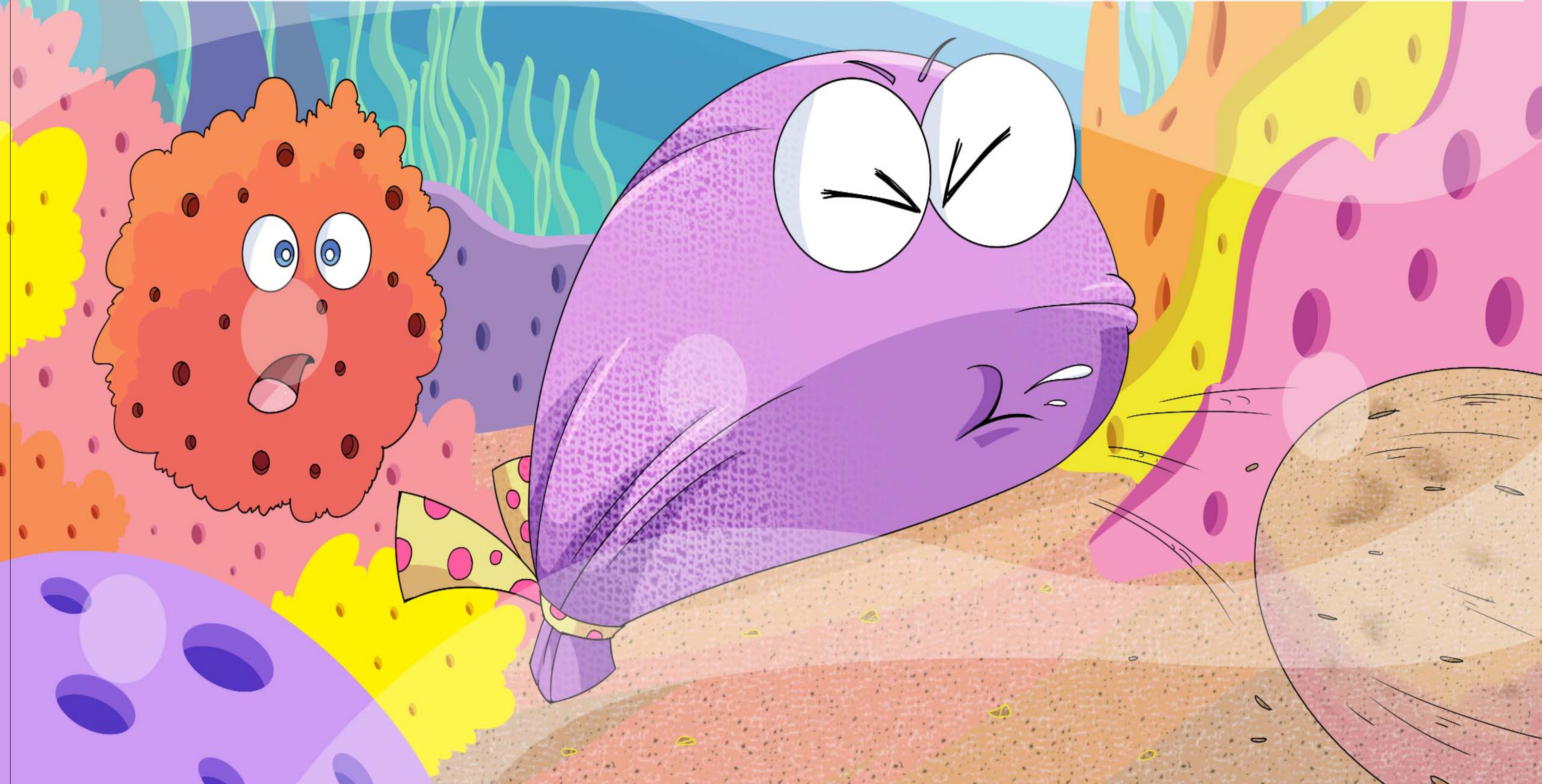
اِنْتَظَرَتْ، وَانْتَظَرَتْ، لكِنَّها شَعَرَتْ بِالِاخْتِناقِ.



فَبَصَقَتِ الْكُرَةَ، وَقالَتْ بِأَسًى: "الرَّمْلُ لَمْ يَتَحَوَّلْ إلى لُؤْلُؤَةٍ!".قالَتْ إِسْفَنْجَةٌ كانَتْ تَقِفُ قُرْبَها:

"طَوالَ عُمُري وَأَنا أَرى اللَّآلِئَ مَصْنوعَةً مِنَ الْكِلْسِ، فَكَيْفَ أَخْرَجَتْ هذِهِ الْمَحارَةُ لُؤْلُؤَةً مَصْنوعَةً مِنَ الرَّمْلِ؟

شَيْءٌ عَجيبٌ!".





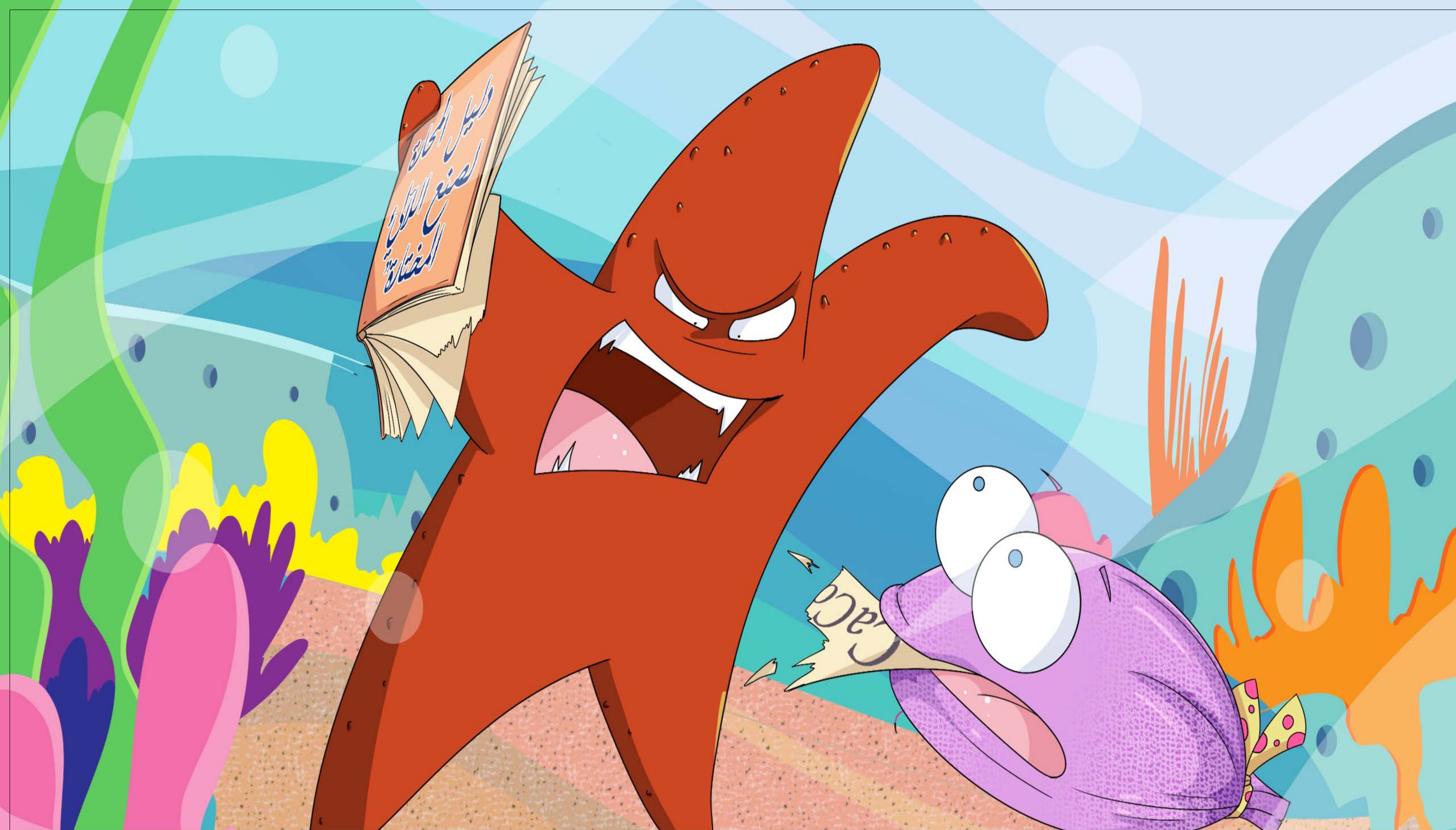
كَلامُ الْإِسْفَنْجَةِ أَوْحى لِدُرَّةَ بِشَيْءٍ؛ اِبْتَسَمَتْ، وَبِسُرْعَةٍ أَحْضَرَتْ دَلْوًا مِنَ الْكِلْسِ وَسَكَبَتْهُ في فَمِها. اِنْتَظَرَتْ، وَانْتَظَرَتْ،
وَلكِنَّها كادَتْ تَخْتَنِقُ مَرَّةً ثانِيَةً. لَمْ يَتَحَوَّلِ الْكِلْسُ إِلى لُؤْلُؤَةٍ: "أُفٍّ! ماذا يَفْعَلونَ لِلْحُصولِ عَلى لَآلِئَ؟ لَقَدْ جَرَّبْتُ كُلَّ شَيْءٍ".

لَمْ يَكُنْ لدُرَّةَ صَبْرٌ لِتَقْرَأَ كَيْفَ تُصْنَعُ اللَّآلِئُ. لكِنْ بَدا أَنَّ هذا هُوَ الْخِيارُ الْوَحيدُ الْمُتَبَقّي أَمامَها. أَسْرَعَتْ إِلى مَكْتَبَةِ خالَتِها، وَأَخْرَجَتْ مَوْسوعَةَ "دَليلِ الْمَحارَةِ لِصُنْعِ اللّآلِئِ الْمُخْتارَةِ".



قَرَأَتْ، وَقَرَأَتْ. فَجْأَةً...

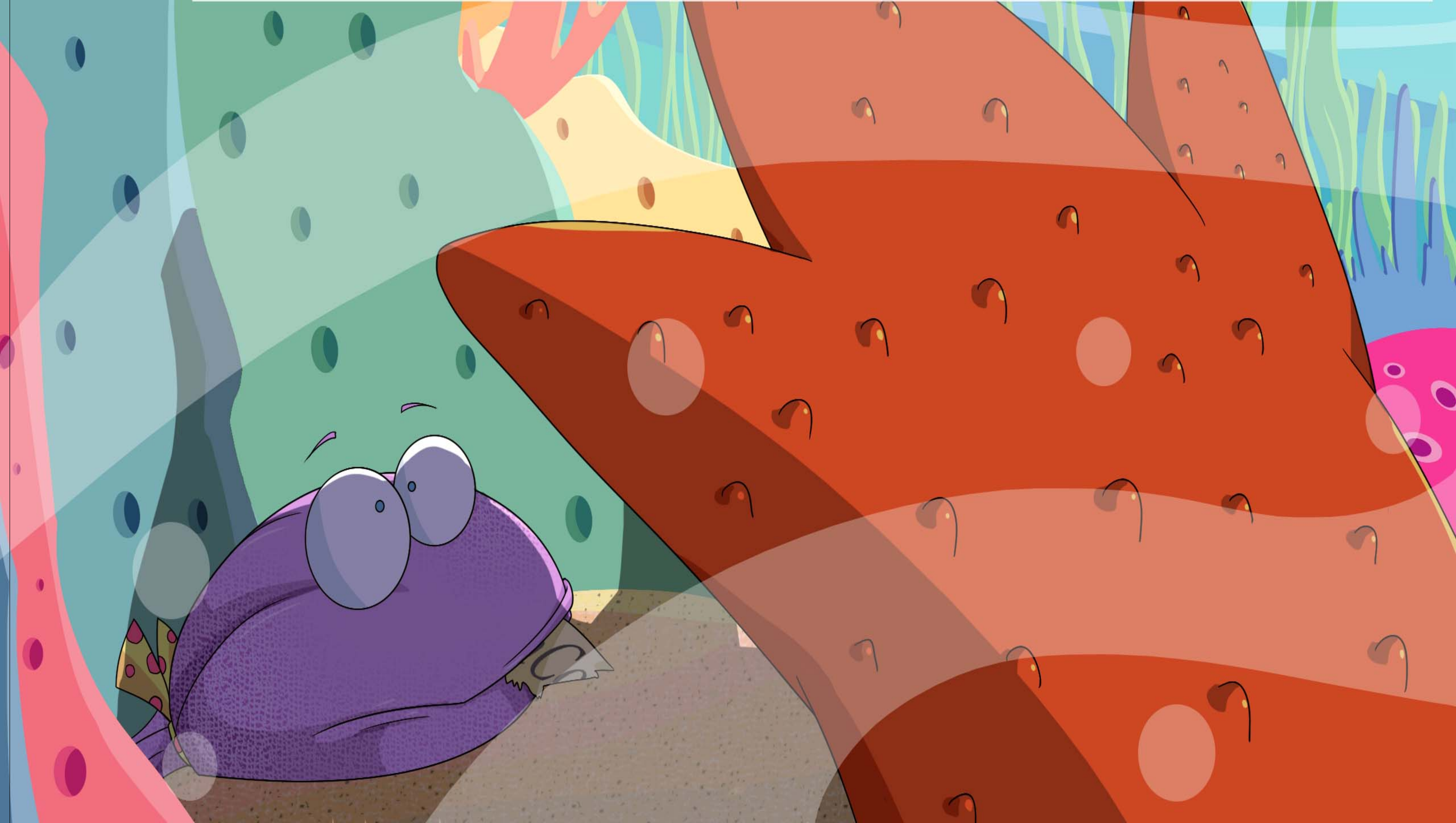




شَعَرَتْ بِحَرَكَةٍ غَريبَةٍ! وَقَبْلَ أَنْ تُكْمِلَ الْقِراءَةَ، هَجَمَ عَلَيْها نَجْمُ الْبَحْرِ الْمُفْتَرِسُ، وَمِنْ دونِ تَفْكيرٍ ضَرَبَتْهُ بِالْمَوْسوعَةِ، فَأَخَذَها مِنْها. حاوَلَتِ اسْتِرْجاعَ الْمَوْسوعَةِ فَمَدَّ ذِراعَهُ وَهَجَمَ مَرَّةً أُخْرى.

هَرَبَتْ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ، لكِنَّها وَجَدَتْ نَفْسَها مُحاصَرةً بِالصُّخورِ مِنْ كُلِّ الْجِهاتِ، وَأَمامَها وَقَفَ نَجْمُ الْبَحْرِ.

لَمْ يَتَبَقَّ لَدَيْها إِلّا خِيارٌ واحِدٌ لِلنَّجاةِ.



غاصَتْ، وَاخْتَبَأَتْ في أَعْماقِ الرِّمالِ. تَساءَلَتْ: "هَلْ أَخْرُجُ الْآنَ؟ هَلْ مَضَى نَجْمُ الْبَحْرِ بَعيدًا؟ أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ تُصْنَعُ اللَّآلِئُ، فَلَيْسَ لَدَيَّ وَقْتٌ أُضَيِّعُهُ". بَكَتْ دُرَّةُ بِخَوْفٍ

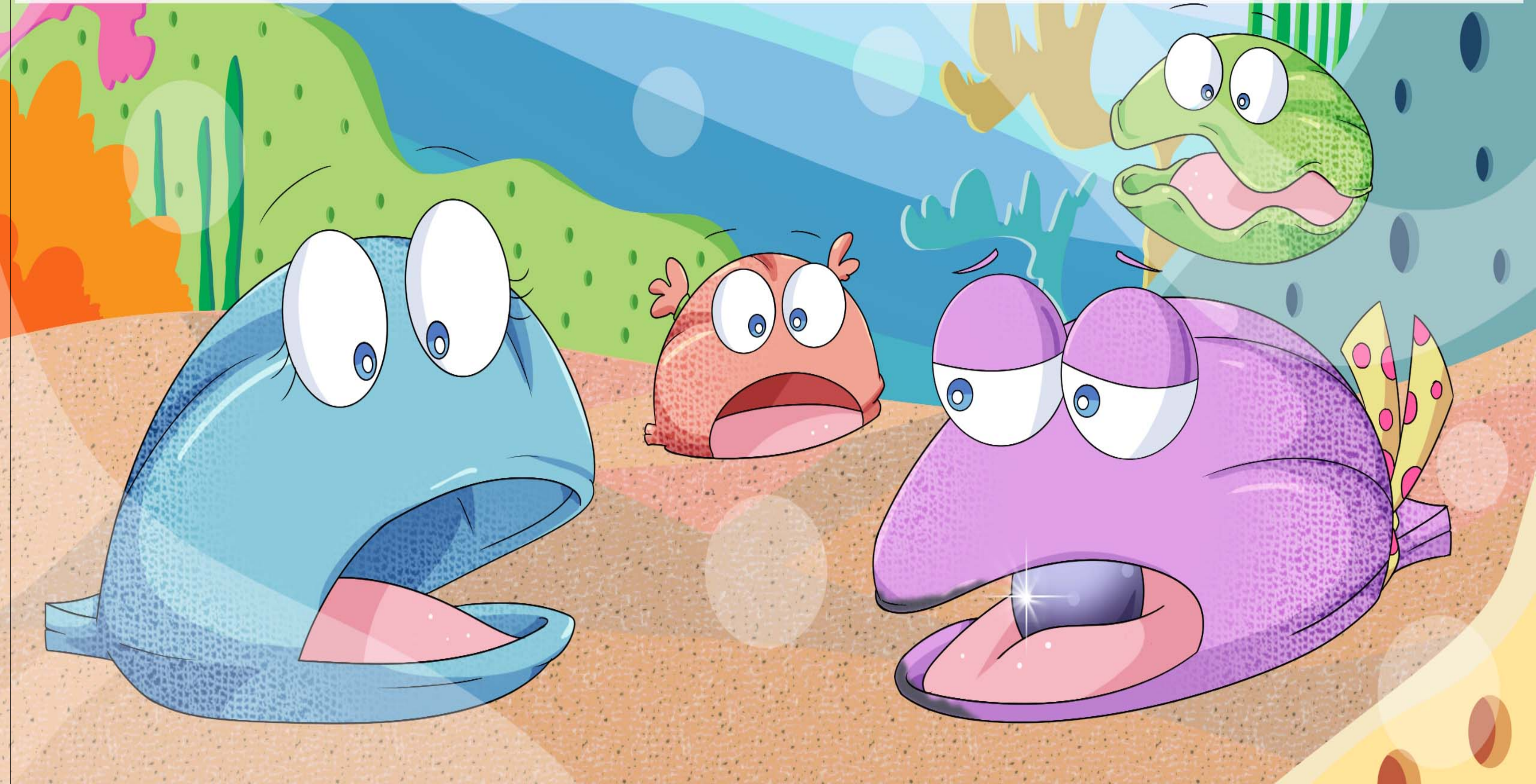
ثُمَّ أَحْكَمَتْ إِطْباقَ شَفَتَيْها عَلى وَرَقَةِ الْمَوْسوعَةِ الْمُمَزَّقَةِ، الَّتي كانَتْ آخِرَ ما تَبَقّى مِنْها. لَمْ تَصْبِرْ دُرَّةُ عَلى النَّوْمِ في السّابِقِ، لكِنَّها سَتَنامُ هذِهِ الْمَرَّةَ، فَعَلَيْها أَنْ تُنْجِزَ شَيْئًا في حَياتِها.

أَغْمَضَتْ عَيْنَيْها وَنامَتْ نَوْمًا عَميقًا.



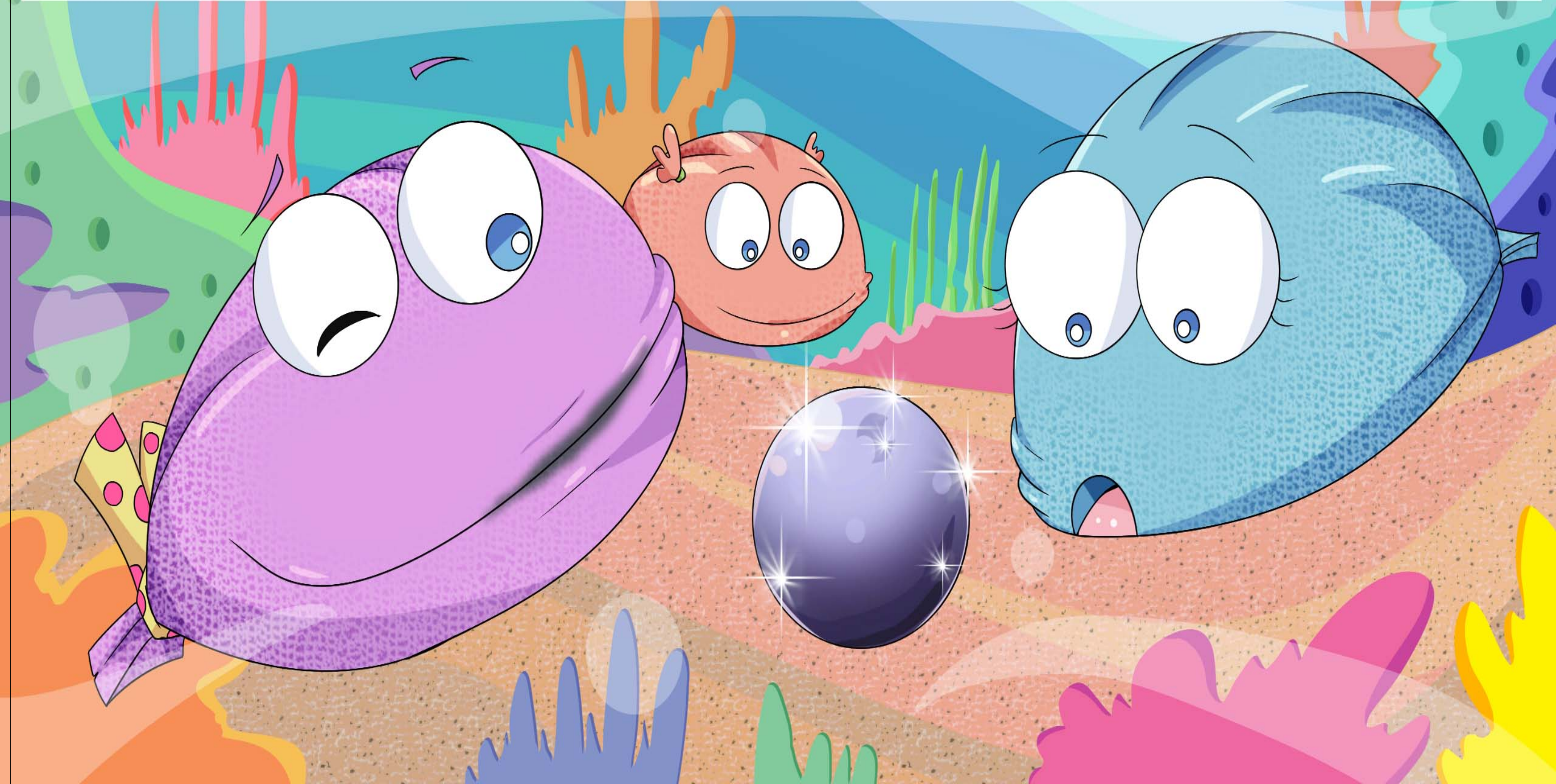
بَعْدَ مُدَّةٍ، اِسْتَيْقَظَتْ دُرَّةُ، فَرَأَتِ الْمَحاراتِ وَقَدْ تَجَمَّعْنَ مِنْ حَوْلِها، وَكانَتْ خالَتُها صَدّوفَةُ بِقُرْبِها أَيْضًا. كانَتْ دُرَّةُ حَزينَةً، فَحَتْمًا صَنَعَتِ الْمَحاراتُ اللَّآلِئَ إِلّا هِيَ! فَتَحَتْ فَمَها، وَسَأَلَتْ: "كَمْ مِنَ الْوَقْتِ نِمْتُ؟"، فَأَجابَتْها صَدّوفَةُ: "نِمْنا كُلُّنا سِتَّةَ أَشْهُرٍ".

"لكِنْ ما هذا؟! كَيْفَ فَعَلَتْ دُرَّةُ هذا؟!"، كانَتِ الْمَحاراتُ مِنْ حَوْلِها تَتَساءَلُ.



قالَتِ الْخالَةُ صَدّوفَةُ: "شَفَتاكِ مَصْبوغَتانِ بِالْحِبْرِ الْأَسْوَدِ، يَبْدو أَنَّ الْحِبْرَ قَدْ تَسَبَّبَ في صَبْغِ اللُّؤْلُؤَةِ".

اِحْتَفَظَتْ دُرَّةُ بِسِرِّ الْوَرَقَةِ الْمُمَزَّقَةِ الَّتي بَقِيَتْ في فَمِها لِنَفْسِها، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ بِفَخْرٍ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلى اللُّؤْلُؤَةِ وَقالَتْ: "لَعَلَّ هذا أَهَمُّ إِنْجازٍ في حَياتي!".





اللَّآلِئُ: Conchiolin / Nacre: هِيَ الْإِفْرازاتُ الطَّبيعِيَّةُ الَّتي يُنْتِجُها الْمَحارُ لِحِمايَةِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَوادِّ الْمُهَيِّجَةِ الَّتي تَدْخُلُ داخِلَ الْمَحارِ وَلا يُمْكِنُ إِزالَتُها، بِحَيْثُ تُحيطُ الْمُهَيِّجَ بِطَبَقاتٍ مِنْ هذِهِ الْمادَّةِ. التَّرْكيبُ الكيمْيائِيُّ لِلُّؤْلُؤِ هُوَ كَرْبوناتُ الكالِسْيوم.



Pinctada margaritifera (محار اللؤلؤة أسود الشفاه):

تَتَشَكَّلُ اللَّآلِئُ السَّوْداءُ عِنْدَما تَتَعَثَّرُ قِطْعَةُ رَمْلٍ بِجِسْمِ نَوْعٍ مُحَدَّدٍ لِلْغايَةِ مِنَ الْمَحارِ، وَهُوَ التَّارْتِيَّةُ الْمُكَلْوَرَةُ السَّوْداءُ الْمَكْسُوَّةُ. عادَةً ما تَكونُ الْقِشْرَةُ الدّاخِلِيَّةُ، الَّتي يُطْلَقُ عَلَيْها اسْمُ الصَّدَفِ، لِمُعْظَمِ الْمَحارِ بَيْضاءَ أَوْ فِضِّيَّةً لامِعَةً، لكِنَّ الْمَحارَ الأَسْوَدَ التَّاهِيتِيَّ يَتَمَيَّزُ بِسَماكَةٍ سَوْداءَ كَبيرَةٍ.

لَآلِئُ (أَكويا)، ما لَمْ تَتِمَّ مُعالَجَتُها بِالْأَلْوانِ، لَها أَلْوانٌ مُحايِدَةٌ. مُعْظَمُ اللَّآلِئِ بَيْضاءُ إِلى رَمادِيَّةِ اللَّوْنِ، مَعَ اللَّوْنِ الْوَرْدِيِّ أَوِ الْأَخْضَرِ أَوِ الفِضِّيِّ. وَأَحْيانًا تَكونُ لَآلِئُ أَكويا بِلَوْنٍ أَزْرَقَ مَعَ اللَّوْنِ الْفِضِّي وَالْوَرْدِيِّ.





هذِهِ الْجَوْهَرَةُ الْعُضْوِيَّةُ لِلْبَحْرِ تَنْحَدِرُ مِنْ مَحارِ الشَّفَةِ السَّوْداءِ، الْمَعْروفِ عِلْمِيًّا بِاسْمِ (Pinctada margaritifera-cumingi). وَأُخِذَ اسْمُهُ مِنْ جَزيرَةِ تاهيتي في فَرَنْسا. بَعْضُ لَآلِئِ (تاهيتي) بِحَجْمِ عِشْرينَ مِلّيمِتْرًا، وَلكِنَّ مُعْظَمَها يَقَعُ ضِمْنَ نِطاقِ تِسْعَةٍ إِلى خَمْسَةَ عَشَرَ مِلّيمِتْرًا.

تَحْتَلُّ Pinctada margaritifera مَجْموعَةً واسِعَةً في جَميعِ أَنْحاءِ الْخَليجِ الْعَرَبِيِّ، وَالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، وَالسُّودانِ، وَبابوا غينيا الْجَديدَةِ، وَأُسْتْرالِيا، وَبولينيزيا الفَرَنْسِيَّةِ، وَجُزُرِ كوك، وَإِنْدونيسيا، وَجُزُرِ أَندامان ونيكوبار، وَالجُزْءِ الْجَنوبِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْمُحيطِ الْهِنْدِيِّ، وَالْيابانِ وَالْمُحيطِ الْهادِئِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَواقِعِ عَلى ساحِلِ الْهِنْدِ.


النِّهايَةُ